

جهود عبد المجيد حنون في الدراسات المقارنة

The Effort of Abdelmadjid Hanoun in the Comparative Studies

أنيس فيلاي

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، الجزائر، a.filali@univ-skikda.dz

تاريخ الاستلام: 2024/09/01 تاريخ القبول: 2024/11/18 تاريخ النشر: 2024/12/01

ملخص:

يروم هذا المقال الوقوف عند مجمل الجهود التي قدمها عبد المجيد حنون للدرس المقارن الجزائري والعربي، من خلال بحثنا في تطبيقاته الرائدة، لأكثر من أربعين سنة، ليهدف هذا البحث إلى الكشف عن مشروعه الكلي.

توصلنا في هذا البحث إلى نتائج أكدت قيمة منجزه البحثي، إذ تعد أعماله حول الصورولوجيا أولى المحاولات لدراسة صورة الآخر – الفرنسي – وفق المنهج التاريخي، كما أن جهوده الترجمية النقدية والأدبية قد فتحت المجال للباحثين لمعرفة التراث الإنساني بأساطيره المختلفة.
كلمات مفتاحية: عبد المجيد، حنون، الأدب، المقارن، جهود.

Abstract:

This article aims to examine the overall efforts made by Abdelmadjid Hanoun in the field of Algerian and Arab comparative studies, through our exploration of his pioneering applications over more than forty years, with the aim of revealing his comprehensive project.

Through our research, we have arrived at results that confirm the value of his research achievements. His works on imagology represent the first attempts to study the image of the "other" – the French – using a historical methodology. Furthermore, his critical and literary translation efforts have opened up avenues for researchers to explore the human heritage through its various myths.

Keywords: Abdelmajid; Hanoun; Literature; Comparative; Efforts.

1. مقدمة:

يعد عبد المجيد حنون من أبرز المشتغلين في الدرس العربي والجزائري المقارن، حيث كان له فضل كبير في إرساء دعائم هذا التوجه في الجامعة الجزائرية من خلال نشره لكثير من البحوث المقارنة الرائدة التي تنوعت مباحثها وتعدد مدار اشتغالها ما بين صورة الآخر والأسطورة والنقد الأسطوري تارة و أدب الأطفال والخطابات النسوية تارة أخرى، رافق ذلك حس نقدي فريد تشكل من قدرة الباحث على تشكيل رؤيته المقارنة التي تقوم على الجمع بين الرافدين العربي التراثي والغربي المنهجي، لعل ذلك ما حقق رؤية كلياينة لدى الباحث تجاوز من خلالها عملية الوصف و المقارنة الشكلية إلى البحث في معضلات واقع الأدب المقارن اليوم، من هنا يأتي هذا البحث محاولة لتسليط الضوء على مجمل الجهود التي قدمها عبد المجيد حنون طيلة مساره الأكاديمي الغني، نقدا وأدبا مقارنا، لتتطلق إشكالية هذا المقال من سؤال مركزي مفاده: ما الجهود التي قدمها عبد المجيد حنون في الدراسات المقارنة؟

تنبثق عن هذه الإشكالية الكبرى إشكاليات صغرى مفادها: ما إسهامات الباحث النقدية؟ ما خصوصية الدرس المقارن لديه؟ للإجابة عن هذه التساؤلات، قسمت خطة البحث إلى مبحثين رئيسيين شكلا مشروعه الكلي: خصص المبحث الأول للوقوف عند الجهود النقدية عند عبد المجيد حنون، وجاء المبحث الثاني لبيان جهود الباحث في الدراسات المقارنة.

2. الآن الأول: الجهود النقدية في ميدان الدراسات المقارنة عند المجيد حنون

تعتمد الدراسات المقارنة في مجمل بحوثها على مناهج نقدية حديثة ومعاصرة، يحاول وفقها الباحث كشف مدار التأثير والتأثر بين الآداب سياقا، أو البحث في شبكة العلاقات النصية التي تشكل بنية النص الكلية نسقا، أو الانفتاح على مجمل المضمرات الثقافية

والأسطورية قراءة وتلقيا، لعل ذلك ما جعل عبد المجيد يولي المنهج أهمية قصوى باعتباره مدار تحقق الرؤية والمفهوم والإجراء، وهو ما تجلى في بحوثه النقدية التطبيقية العديدة.

3. مفاهيم النقد الأسطوري عند عبد المجيد حنون

يعود الفضل الأول في إرساء دعائم النقد الأسطوري البرونيلي - نسبة إلى بيير برونيل Pierre Brunel - في النقد الجزائري والعربي إلى الدكتور عبد المجيد حنون، وذلك من خلال ما قام به من ترجمة رائدة لمفاهيم هذا النقد الأسطوري فضلا عن أوليته في المجال التطبيقي الذي استدعى نماذج شعرية حديثة، ليقوم بمقاربتها وفق مقولات النقد وآلياته الإجرائية.

انفتح الأدب العربي الحديث والمعاصر على الآداب العالمية، محاولا كسر الواحد النقدي ومعه مقولات الشعرية العربية القديمة، حيث تم التخلص من الوصايا الشكلية والمعيارية لعمود الشعر، أما على مستوى التصورات، فتم تجاوز الصور التقليدية التي تقوم في تشكيل شعريتها على المحاكاة والمنطقية المتوقعة، ليصبح الأدب عامة والشعر خاصة فعلا حدسيا غامضا لا متوقعا، لعل ذلك ما تجلى في تبني الشعر العربي الحديث والمعاصر لرمزية واستعارة الأسطورة.

الجانب الأنطولوجي للتوظيف الأسطوري العربي كان محاولة من الأدباء العرب للهروب من الراهن حيناً ومحاورته حيناً آخر على سبيل فهم كينونة الذات وتشظياتها الحضارية المختلفة، محاولة لتجاوز التيبس والموات الذي عم الروح العربية، فكأنهم رأوا في نماذج البعث الأسطورية بعثاً رمزياً، يحمل دافعية التجاوز من خلال إعادة تشكيل القبلات الأولى لانوجاد الكينونة العربية بما يتيح فهم الحاضر وتجاوز مواته.

ومع هذا التطور الأدبي كان لابد من منهج يقارب يبحث في مدار الاستضافة بين النص المرقش والمتجلي أو المضمّر الأسطوري، من هنا كانت أهمية الجهود النقدية التي قام بها الدكتور عبد المجيد حنون باعتبارها قنطرة عبور أتاحت المرور نحو تحقيق فعالية التعالق بين الأسطوري والأدبي، إذ توجهت البحوث إلى الغوص وراء العناصر الأسطورية التي تقوم عليها أو تتضمنها النصوص الأدبية الإبداعية، والتعمق في تحليلها والكشف عن دورها في بناء النص بغية تسليط نظرة أخرى على النصوص المدروسة

1.3. آليات النقد الأسطوري عند عبد المجيد حنون

يعرض لنا عبد المجيد حنون إجراءات ثلاث يتأسس وفقها الجهاز المفاهيمي والتطبيقي للنقد الأسطوري وفق ما جاء في كتاب النقد الأسطوري لبير برونيل، حيث ترجمها الباحث ووضع مقابله باللفظ العربي وهي: التجلي بأنواعه، المطاوعة بأنواعها، الإشعاع بأنواعه.

1.1.1.3 التجلي:

ويقصد به عبد المجيد حنون "عملية تشكل الأعراض الأسطورية وانجاسها في النص الأدبي الإبداعي، والكشف عنها من خلال البنية السطحية حيث تتجلى الأعراض الأسطورية من خلال تقنيات، البعض منها عام مشترك بين مجمل الآداب، والآخر يوجد في أدب معين، ولا يوجد في غيره وذلك راجع إلى خصوصية الأدب نفسه"¹

يظهر إذن التجلي في البنية السطحية، بمعنى أن الحضور الأسطوري يهتدى إليه من خلال التوظيف اللغوي، فعن طريقة عملية القراءة الخطية التراتبية للدال اللفظي تتوجد الأسطورة في شكل لفظ صريح أو ترميز استعاري يهتدى إليه عن طريق اللوازم والقرائن اللغوية.

يضع الباحث معيارا لظهور الأعراض الأسطورية التي تعتري النص الأدبي، إذ أن حصول هذه التقنيات أو بعضها يرجع في أساسه إلى خصوصية الأدب، وهنا نتساءل عن التقنيات التي توظف في الأدب العربي الحديث والمعاصر وذلك يتطلب من الباحثين والمشتغلين في حقل الدراسات المقارنة عرض هذه المسألة للتحقيق والتدقيق والبحث حتى نقف عند حدود هذا الحكم.

ويمكن إجمال هذه التقنيات المنضوية تحت عنصر التجلي بحسب ما جاء في كتاب بيير برونيل بحسب عبد المجيد حنون في تقنيات عديدة، أولى هذه التقنيات تتمثل في العبارة الاستهلاكية: وهي ما يستهل بها المبدع نصوصه وتعبّر عن توجه باعتبارها نصا يحمل دلالة اللاحق، أما التقنية الثانية فتختص بالعنوان باعتباره نصا تتجلى من خلاله الأسطورة أو لوازمها تصريحا أو ترميزا، وتأتي اللازمة الثالثة، فعن طريق اللازمة يشكل النص تكراره المقدس والطقسي، أما التقنية الرابعة والخامسة فتختص تواليا بالاقتراس والتضمين والتناص، ففي الاقتباس والتضمين يتم عرض اقتباسات مباشرة وتضمينها ضمن المنجز الإبداعي كاقتراس نص أو اسم أسطوري مثلا، ويتخذ التناص استضافة لنصوص أسطورية غائبة يتم امتصاصها وتحويلها ضمن دلالة جديدة، وسادس هذه التقنيات هي الصور البلاغية والتي يجعلها الباحث من أهم تقنيات التوظيف الأسطوري استخداما عند العرب، ذلك أن اللغة العربية لغة بلاغة بامتياز، ومن ثمة فلاشتغال الأسطوري غالبا ما يؤسس شعريته على طبيعة اللغة العربية المبنية على التشبيهات والاستعارات والكنائيات وغيرها، الخلفية الأسطورية سابع هذه التقنيات والتي تتمايز عن باقي التقنيات أنها تتخذ تصورا غير مباشرا، فتصوير الوطن كأنثى مثلا يحمل دلالة لخلفية أسطورية تتصل بأساطير البدء

والتكوين، أما التقنية الثامنة والأخيرة فترتبط بالصياغة والأسلوب وفيها يصيغ المبدع نصه على منوال النص الأسطوري و تسمى بالبناء الفني².

وتظهر هذه التقنيات كلها أو بعضها كما سبق وأوضحنا بحسب خصوصية كل أدب وطريقة توظيف كل أديب، وتتجلى الأسطورة بحسب هذه التقنيات تامة أو جزئية أو مضمرة، وذلك يعود لخصوصية كل تقنية، فالإقتباس مثلا يحيل في توظيفه على تجلي أسطوري ظاهر وتام، عكس تقنية التناص التي يكون فيها التجلي جزئيا وذلك يعود إلى التحوير وإعادة الإنتاج الذي يقوم به المبدع، أما المضمرة فيكون غالبا في تقنيات الخلفية الأسطورية أو البناء الفني وهكذا" ومهما كان نوع التجلي ووسيلته فإنه عادة ما يكون: تجليا صريحا، وعادة ما يكون في العنوان أو اللازمة أو التضمنين والإقتباس... تكون الإشارة إلى الأسطورة واضحة... تجليا جزئيا: يرد عن طريق الإشارة إلى جزئية أو صفة... يرد في الصور البلاغية لأنه يتلاءم أكثر مع طبيعة التقنيات البلاغية...، تجليا مبهما أو مضمرا: وهو الأكثر حضورا... نجده في معظم أنواع التجلي وفي الصور البلاغية على وجه الخصوص لأن ضبابية العنصر الأسطوري... تعطي المبدع أبعادا إيحائية أوسع، وتمنح القارئ مساحات دلالية"³

2.1.3. المطاوعة

المطاوعة عند عبد المجيد تعود إلى قدرة الأسطورة على التمدد أو التقلص، ذلك أن تجلي الأسطورة في النص الأدبي يؤدي إلى تشابه أو تغير يعتري الأسطورة من خلال عملية التوظيف الأدبي لها، وذلك راجع إلى تقنيات التجلي من حيث مباشرتها أو رمزيتها، لذلك فالمطاوعة" تصور فيزيائي، يطلق في النقد الأسطوري على مجرد معنى ذهني للمسافة الدلالية... ما بين الثابت والمتغير في دلالة العنصر الموظف... وتتجلى المطاوعة في الإبداعات الأدبية من خلال أعراض عديدة يحدثها المبدع"⁴

ويقسم عبد المجيد حنون المطاوعة إلى ثلاثة أنواع، يختص النوع الأول بالبحث عن التشابهات بين النص الأول الأسطوري والنص اللاحق الأدبي ويتجلى التشابه عادة من خلال الشخصيات والمواقف والأحداث، أما النوع الثاني من المطاوعة فيطلق عليه الباحث مصطلح التشوهات والتغيرات التي تعتري الأسطورة وعناصرها، وذلك بواسطة زيادة أحداث أو نقصانها أو عكسها، أما النوع الثالث فيتعلق بالغموض الذي يعتري توظيف الأسطورة وعناصرها بمعنى أن المبدع يحمل الدال الأسطوري دلالات اعتباطية تغري القارئ وتدعوه لكشف دلالاتها، ويرى الناقد أن النوع الأول الذي تتشابه فيه الأحداث بين النص أو العنصر الأسطوري تكون فيه المطاوعة متقلصة وذلك راجع إلى حفاظ الأسطورة على بنائها الكلي، أما النوعين الثالث والرابع فتكون فيهما المطاوعة ممتدة وذلك راجع لجملة التغيرات الحاصلة في النص أو العنصر الأسطوري⁵

1.3.3. الإشعاع

يجعل تجلي الأسطورة النص الأدبي نصا مشحونا دلاليا، يفتح على قراءات متعددة، تحاول كشف الحضور الأسطوري ودلالاته المخبوءة" والمقصود بالإشعاع تلك الظلال أو الهالة التي يمنحها العنصر الأسطوري الموظف للنص أو هو الأثر الإبداعي بفضل عملية المطاوعة التي يعطيها المبدع لهذا العنصر ومدى ملائمة ذلك لأفق انتظار القارئ"⁶

ينقسم الإشعاع بحسب مطاوعات العنصر أو الأسطورة ضمن النص الأدبي، فإذا كان التوظيف مصرحا به كان الإشعاع ساطعا أما إذا كان التوظيف مضمرا لم يصرح فيه بالعنصر الأسطوري أو بالأسطورة كان الإشعاع خافتا وباهتا" ساطعا عندما يصرح المبدع مباشرة بالأسطورة أو بالعنصر الأسطوري من خلال العبارة الاستهلاكية أو اللازمة أو التسمية...مثلا هو الشأن في قصيدة البياتي الزاخرة بدلالات شهرزاد...وقد يكون الإشعاع

خافتا عندما لا يصرح المبدع بالأسطورة أو بالعنصر الأسطوري، وإنما يكتفي بالإشارة إلى الوظيفة... أو الخلفية الأسطورية بواسطة طرق التشابه أو التقارب في البناء الفني"⁷

4. الآن الثاني: الجهود المقارنة عند عبد المجيد حنون

تعددت جهود عبد المجيد حنون في الدرس المقارن من خلال المباحث العديدة التي يوليها للدرس المقارن وخاصة ما تعلق منها بعلاقة الأدب المقارن بأدب الأطفال وعلاقته بالأسطورة على وجه الخصوص وأيضاً دراسته المستفيضة حول الصورولوجيا.

1.4. أدب الأطفال والأدب المقارن

تتأني علاقة أدب الطفل بالأدب المقارن من خلال خصوصية أدب الطفل في حد ذاته، ذلك أنه أدب يقوم على العجائبية في تدبيج موضوعاته، ولما كان الأدب المقارن يسعى لدراسة العجائبي والموضوعاتي شكل هذا الأدب مدار بحث عميق في الدراسات المقارنة الحديثة والمعاصرة من خلال عملها على كشف مدارات التلاقي والتأثير والتأثر بين الآداب العالمية المختلفة.

يذهب الباحث إلى أن صلة أدب الطفل بالأدب المقارن، تعود إلى الكتابات الأولى التي قام بها علام المدرسة التاريخية المقارنة" ترجع صلة أدب الأطفال بالأدب المقارن إلى مدرسة الأدب المقارن الفرنسية، التي كان أحد أقطابها - أقصد بول هازار - سباقاً في تحديد أهمية أدب الأطفال بالنسبة للأدب المقارن، حيث كتب مقالا بعنوان: كيف يقرأ الأطفال؟ سنة 1927"⁸

ولعل اهتمام المدرسة التاريخية الفرنسية بأدب الأطفال إنما يعود إلى رغبتها في دراسة التأثير والتأثر بين الآداب العالمية الموجهة للطفل، وذلك لمعرفة مراكز التأثير بين النصوص النموذجية والنصوص اللاحقة وعرض مدار التأثير والتأثر على مستوى

الموضوعات والأشكال، وهو ما جعل "أدب الطفل أولى المحطات في عملية البحث عن التأثير والتأثر أو التناص، أو استكشاف مكونات الأدب التكوينية المضمونية أو الفنية الظاهرة أو المستترة"⁹

4. 1. 1. التقنية وأدب الطفل

يرى عبد المجيد حنون أن التطور التقني وخاصة ظهور الإنترنت قد عزز من انتشار أدب الأطفال، وذلك راجع إلى رغبة المؤسسات الإعلامية ومواقع الإنترنت المختلفة في تحقيق الربحية الاقتصادية، وهو ما أدى تتابعا إلى جعل هذا الأدب الذي كان إلى وقت قريب أدبا هامشيا إلى أدب يمثل مركز الاهتمام "لقد تضافت عوامل كثيرة في تطور أدب الأطفال خلال النصف الثاني من القرن العشرين، كالمنافسة التجارية الشرسة التي لا يههما الربح باستعمال مختلف الوسائل الفنية لبعث رغبة الصغار والكبار على شراء المنشورات، والفضول الثقافي الذي غذاه ويغذيه تطور وسائل الإعلام التي تسير بوتيرة مذهلة"¹⁰

ونحن نتفق مع هذا الطرح ونؤكد على دور التقنية التي يديرها العقل الاستهلاكي، إذ فقد أدب الأطفال قيمه الأصيلة في تعزيز القيم الإنسانية الأصيلة، ولم يعد إلا شيئا يسوق لغرض الربحية، بل أن السيطرة طالت موضوعات أدب الأطفال وحتى أهدافه التربوية، ليصبح أداة لنشر الهيمنة الثقافية ذات البعد الغربي في كل أرجاء العالم، لنجد اليوم أدب أطفال ينحو نحو المثلية ويؤكد التفوق الحضاري والتعالي الغربي في مدركات الطفل الواعية واللاوعية.

لكن ذلك لا يعني أن التقنية قد أدت دورا إيجابيا في نشر هذا الأدب وتحويله من دائرة الهامشي إلى دائرة المركزي وهو ما تجلّى بشكل كبير في إعطاء نقلة نوعية لأدب

الأطفال وتحوله من الخطاب الشفوي إلى النصي والأيقوني وصولاً إلى الكارتوني المتحرك الذي خصصت له قنوات تلفزيونية ومنصات خاصة لعرضه.

2.1.4 واقع أدب الأطفال في الجامعة الجزائرية

ينتقد عبد المجيد حنون واقع أدب الأطفال في كليات الآداب واللغات الجزائرية، حيث نراه يتحسر لواقع هذا الأدب، فبعد التلقي الإيجابي الذي تجلّى من خلال المقررات والرسائل العلمية، سرعان ما تم تغيير هذا المسار التحديثي حيث عمل ما يسميهم الباحث ببعض الأساتذة والمسؤولين في أقسام الآداب على وقف هذا المسار وذلك من خلال ارتهان هذا الأدب ضمن التصورات القديمة التي لم يعد لمواضيعها أو أحداثها أي معنى في هذا العصر " أقسام اللغة العربية في الجامعة الجزائرية، منحت خلال سنوات قليلة جداً دفعا قويا لدراسة أدب الأطفال، غير أن البعض من أساتذة اللغة العربية - وعلى رأسهم المسؤولون - رجعوا بمقررات اللغة العربية وآدابها منذ سنتين حوالي نصف قرن إلى الوراء، وجردوها من كل ملامح التجديد... فحذفوا ضمن ما حذفوا من المقررات، أدب الأطفال... ولم يدركوا أن الضرب لم يعد يربطه أي رباط بالوجدان العربي، وأن الأثافي السبع لم يعد لها دور في حياة الطفل العربي"¹¹

لكن هذا المحاكمة التي يتوجه بها حنون إلى التراث العربي القديم تحمل قدراً من التعسف، ذلك أن تكوين الجانب المعرفي واللغوي لدى الطفل لا بد أن لا ينفصل عن قصص الماضين، ثم أليست أعظم القصص والحكايا تعود إلى الأزمنة القديمة، فحماية الطفل من الاختراق الثقافي لن يتم إلا بتعزيز تلك الصلة بين حاضر الطفل وماضيه، ويمكن تبسيط معجم اللغة القديمة بألفاظ جديدة متداولة بشرط أن تحافظ على المعنى العام، إننا اليوم وفي عصر التقنية نرى كيف أن أمم العالم تتسابق لإحياء تراثها وتقريبه للناشئة وليس أدل على

ذلك القصص الصينية واليابانية والهندية.... الموجهة للأطفال، فكيف لنا أن نتذكر لماضيها الحضاري، لذلك ينبغي النظر إلى المسألة نظرة وسطية دون إفراط ولا تفريط.

2.4. أسطورة شهرزاد وجدلية الأنوثة والذكورة في الأدب

لا شك أن جدلية العلاقة بين الذكر والأنثى تضرب بجذورها عميقا في الفكر الإنساني القديم، سواء على مستوى الخطاب الأسطوري الأول والذي شكل أساطيره بناء على تقسيم ذكوري وأنثوي تتبادل فيه الآلهة الأدوار والصفات، أو على مستوى المعتقدات الشعبية القديمة والأديان السماوية الكبرى، حيث تموضعت العلاقة بين الذكورة والأنوثة على شكل صراع وغواية وحب وتمنع وهيمنة.

انطلاقا من هذا الإشعاع الأسطوري والديني المصور لجدلية العلاقة الإيجابية أو السلبية بين عناصر الذكورة والأنوثة، يحاول عبد المجيد حنون أن يستدعي شخصية أسطورة أدبية عالمية من خلال بحثه المقارن عن تجلياتها في الآداب العالمية الأوروبية والعربية مبينا ما أصاب رمزها من زيادة أو نقصان أو تحوير. معتمدا على المنهج التاريخي المقارن من خلال بحثه في تاريخية الاسم وأصوله، مستعرضا أقوال الباحثين في هذا المضمار والتي اختلفت بين قائل بعروبتها وقائل بفارسيته أو هندية "واستدل كل تيار في وجهة نظره بحجج قوامها أدلة منطقية مأخوذة من نص الليالي نفسه... ولم تقم هذه الحجج على براهين مادية بيبليوغرافية ثابتة"¹²

عرض الإطار التاريخي لشخصية شهرزاد وما جاء فيه من تعدد الرؤى، يمنح الباحث أفقا تأويليا يمكنه من صهر هذه الرؤى ضمن عملية الفهم والتفسير ومن ثمة تأويل هذه التيمة الأسطورية ومحاورتها، وفق ذلك يحاول الباحث تفسير الهيكل البنائي العام لشخصية شهرزاد و الذي تتمحور وفقه الحركية السردية ودلالاتها، فلمح الشخصية الكلي يظهر

شهرزاد في ألف ليلة وليلة شخصية مناقضة لشخصية المرأة الخائنة، حيث أن وزير شهياري لم يجد في يوم من الأيام في المملكة فتاة في سن الزواج لكي يتزوجها الملك ثم يقتلها صباح الغد انتقاماً من فعلة زوجته الخائنة... لأنه يتقن مما حدث له ولأخيه وللعفريت أن الخيانة صفة المرأة... وأمام حيرته وانغلاق الأمر عليه... تطلب شهرزاد من أبيها الوزير أن يزوجه من الملك¹³

إن المقدمة الافتتاحية للتصور العام الذي تتبنى عليه الوظائف السردية يشي لنا بأهمية الوظيفية التي تتخذها شهرزاد ضمن هذا المعطى الكارثي باعتبارها رمزاً للفداء والتضحية ضد راديكالية الهيمنة الذكورية، إذ "كانت تبدى للملك الذي قد يأمر بقتلها في أية لحظة، الاحترام والتقدير في شكل طاعة عمياء، وهي ولود أنجبت له ثلاثة أبناء ذكور، وعندما تطلب منه العفو، لا تفعل ذلك حفاظاً على حياتها وإنما لتربية أولادها"¹⁴

لقد شكل عبد المجيد حنون عن شخصية شهرزاد تيمة كبرى ستمكنه لاحقاً من معرفة مجمل التحولات التي على أسطورة شهرزاد الأدبية في مختلف الآداب الأوروبية وكذلك الوقوف على تجلياتها في الأدب العربي الحديث والمعاصر، فمعرفة التيمة الكبرى والقيم الفرعية هي نواة الدراسة المقارنة الناجحة، حيث تشكلت التيمة الكبرى بحسب ما عرضه الناقد للإطار العام لمدار هذه الشخصية في تيمة العفة التي تفرعت منها تيمات صغرى صاغت نسيج الشخصية الكلي كقيم الجمال، والوفاء، الطاعة، الاحترام، الأمومة، التضحية.

1.2.4. أسطورة شهرزاد في الآداب الأوروبية

يرى عبد المجيد حنون أن أسطورة شهرزاد الأدبية قد انتقلت إلى معظم الآداب الأوروبية في العصر الحديث من خلال الترجمة والرحلات التي قام بها "عديد الباحثين

الأوروبيين بعد رحلة شهرزاد إلى فرنسا ... بواسطة مخيلة الفرنسي أنطوان غالان A. Galland (1704)، وانتقالها في أنحاء أوروبا عن طريق الترجمة واحتكاكها بمفكرين وأدباء أوروبيين أمثال تيوفيلغوتي Gautier Theophile وفولتير Voltaire وأنطوان هاملتون A.Hamilton¹⁵

ومن خلال مقارنة الباحث بين النص النموذجي لأسطورة شهرزاد الأدبية والنصوص الأدبية اللاحقة التي استحضرت رمزها، يخلص الباحث إلى أن الآداب الأوروبية قد حورت التيمة الأصلية لشهرزاد في الآداب الشرقية، حيث قام هؤلاء المبدعون بتطويع رمزها بما يلاءم تحولات المجتمع الأوروبي خاصة في ظل التحولات الجديدة التي عرفها المجتمع الأوروبي إبان عصر التنوير، وفق ذلك أصبح شهرزاد رمزا للتحرر والثورة والتمرد ضد الأعراف والتقاليد والتصورات البطيركية مما جعل شهرزاد تكتسب خصالا غير خصالها الأولى، فأصبحت رمزا للجمال الخارق والمتعة الجنسية والسحر والمكر والدهاء والتلاعب والثورة بكل معانيها والتحرر حد الشذوذ الجنسي.

2.2.4. انبعاث أسطورة شهرزاد إلى الآداب العربية

يقف حنون في بحثه عن تجليات أسطورة شهرزاد الأدبية في الأدب العربي الحديث والمعاصر على دور الترجمة والرحلات المتعددة إلى أوروبا التي قام بها عديد الأدباء، مما جعلهم يتعرفون على مظاهر التجديد والتجريب في الآداب الغربية، فشدهم مما شدهم ذلك التناص مع أسطورة شهرزاد الأدبية، فحاولوا عن طريق هذا التأثير استحضار رمز شهرزاد وشحن رمزيتها بما يتلاءم مع خصوصية الحاضر العربي " فإذا كان هذا هو حالها مع الكتاب الأوروبيين الذين لا يربطهم بها رابط، فما الذي يمنعها من العودة إلى موطنها الذي

ترعرعت فيه، وتصبح المعبرة عن أفكار الأدباء العرب...وهكذا حزمت شهرزاد أمتعتها الغربية لتتجلى من جديد عند العرب من خلال إبداعات عربية حديثة¹⁶

لقد حاول عبد المجيد البحث عن تجليات أسطورة شهرزاد وتحولاتها في الآداب الأوروبية والعربية، استخدم الباحث منهجا تاريخيا مقارنا فيما تعلق في بحث التأثير والتأثر بين أسطورة شهرزاد الأدبية والنصوص الإبداعية الموالية.

3.4. الموروث الأسطوري في الدراسات المقارنة

تتموضع الأسطورة عند عبد المجيد حنون باعتبارها مفتحا لا يمكن بحال حده أو قبولته ضمن إطار مفاهيمي معين، ولعل ذلك يرجع إلى انفتاح الأسطورة على ميادين معرفية وثقافية متعددة الأمر الذي يجعل مفاهيم الأسطورة متعددة..متنوعة من حيث المنطلقات المعرفية والإجرائية المنهجية¹⁷

وهو ما يجعل للأسطورة مبدؤها وبنائها الخاص الذي يفرقها عن باقي النتاجات الإنسانية الأخرى، ولما كان الأدب أكثر نتاجات الإنسان عبقرية وإبداعا حاول بعض النقاد البحث عن مدار العلاقة بين الأسطوري والأدبي، وحول حدود هذه العلاقة يرى الناقد أن المختلف بينهما أكبر من المؤتلف، وذلك يعود حسب طبيعة الأسطورة في حد ذاتها وارتباطها بالإنسان البدائي الأول، إلا أن ذلك التباين لا يعني عدم حصول تشابه بينهما باعتبار مادتهما اللغوية وموضوعها الإنساني بحسب حنون¹⁸

1.3.4. الأسطورة في الأدب العربي المقارن

ينتقد عبد المجيد حنون الدرس المقارن العربي الذي لم يحفل كثيرا بالأساطير، ويرجع الباحث قلة هذه الدراسات إلى سببين رئيسيين: سبب علمي معرفي وسبب ديني عقدي، تعود التأثيرات المعرفية إلى جدة الدراسات المقارنة العربية والتي لم تصل فيها كثير من البحوث

إلى النضج المعرفي الذي ينطلق من جذور الأدب المقارن وأساسياتها ذلك أن "الأدب المقارن نفسه ما زال لم يتأصل بعد عند العرب فهو مجرد تقليد أكاديمي يتوقف أمره على أفراد أو مؤسسات جامعية تحكمها اعتبارات غير علمية أحيانا، ولذا سيبقى هذا الفرع هزيعا، ما دام الأصل لم يجد التربة الخصبة والعناية الضرورية"¹⁹

أما السبب الثاني الذي يعيق الدراسات المقارنة في ميدان الأساطير يعود بحسب الباحث إلى التأثير التراثي والديني الذي لم يستطع بعض نقاد الأدب المقارن تجاوزه وخاصة تلك النظرة السلبية التي التصقت بالأساطير باعتبارها تحمل الأكاذيب والأباطيل والتجسيمات الأسطورية وتصور الصراع الوثني الدائر بين الآلهة" ولذا، أظن أن المقارنين العرب أثروا الابتعاد عن الأساطير الأدبية درءا للشبهات أو خوفا مما لا تحمد عقباه"²⁰

وعليه فإن علاقة الأسطورة بالأدب هي علاقة لزوم واستضافة، فالمبدع يتناص مع الأساطير المختلفة ليغير مسارها المقدس وفق منطق النص الجديد، فالاحتماء بالأسطورة تعبير رامن من الأديب لمحاورة ذلك التراث وإعادة قراءته في سبيل تجاوز التشطي الحاصل في الذات العربية، ولعل ذلك ما يشحن النص بدلالات متناصلة تستفز القارئ وتدعوه لمحاورة النص وتأويل دلالاته.

4.4 صورة الفرنسي والفرنسية في الرواية المغربية

يعد علم الصورة أو الصورولوجيا من أهم مباحث الأدب المقارن، والصورة عند حنون تتوجه إلى الصورة التي تشكلت في المخيلة العربية المغربية وإبداعاتها المختلفة تجاه صورة المستعمر الفرنسي، ويبنى عبد المجيد رؤيته للصورة من خلال فعالية الشخص الفرنسي وتعدد تيماتنا ضمن المعطى السردى.

تمثل صورة الفرنسي والفرنسية نموذجا ارسقراطيا يتموضع في الآخر المستعمر مركزيا ضمن نسق السلطة والهيمنة" الفرنسي يتضمن الحاكم، والقاضي، والجندي، ورجل الأمن، والمعمّر، ورب العمل، ورجل التعليم...ثم الفرنسية، ويتضمن هذا القسم: زوجة الفرنسي، أو المرأة المسنة، والفتاة، والتاجرة، والعاملة، والموظفة، وأخيرا زوجة المغربي أو حبيبته"²¹

يحيل تعدد هذه النماذج في الرواية العربية المغربية على تأثير الهيمنة الفرنسية على الرؤية العامة لدى الروائيين المغربية، حيث يصور العربي كهامش يتحرك ضمن نسق هذه الشخصيات العام، شخصيات تحتكر السلطة والقضاء والتعليم، والرتب العسكرية والتعليم، على نقيض الشخصيات العربية الفقيرة والبسيطة التي تعيش في القمع والعبودية.

تتمحور صورة الحاكم في هذه الرواية المغربية من خلال تسلطه وقسوته تجاه العرب، وبعصبية وعنصريته الشديدة التي ترتبط في أساسها بصورة الغرب عامة عن العرب والمسلمين، إذ يصورونهم في أشكال همجية ومحتقرة، ويرى عبد المجيد أن هؤلاء الحكام الفرنسيين قد سعوا لتشكيل طابور خامس يكون لهم تابعا وخادما في حال ما خرجت فرنسا من هذه البلاد، فقد حاول "الحاكم ليوتي أن يخلق جيلا تابعا له من الحكام المغربية يلبسون ويأكلون ويتحدثون مثل بقية المغربية، ولكنهم يفكرون لفرنسا ويخدمون مصالحها، لقد كان يريد استمرار فرنسا في المغرب الأقصى حتى بعد خروج الفرنسيين"²²

وعلى عكس صورة الحاكم ترتبط صورة المعلم بالدلالات الايجابية الشكلية على مستوى الهندام والشكل "المعلم فرنسوا هو مثل التلاميذ...لقد وجدوا أنفسهم أمام شخص له طاقات جسمية ومهنية رائعة، ومما زاد في انبهار التلاميذ بالمعلم الفرنسي الحياة النظيفة التي يعيشها المعلم الفرنسي"²³

ولعل استحضار الروائي المغربي لصورة المعلم الفرنسي المشرقة لا يحمل هوسا وافتخارا بما يقدمه باعتباره بما يقدمه يحمل خطرا هوياتيا على الأطفال والأمة، لكنه يحمل نقدا لاذعا للتعليم العربي وطريقته المنفرة التي تجعل من الأطفال يكرهون التعليم من أساسه" فكل الروائيين المغاربة الذين يكتبون بالعربية تفرزوا من وسخ الفقيه أو شيخ الكتاب وثيابه الرثة... ونفروا من معاملته السيئة ومن عصاه التي تلهب الأرجل والأكف"²⁴

5. خاتمة:

بدل عبد المجيد حنون جهودا معتبرة في تطوير الدرس الجزائري والعربي المقارن من خلال ما قام به من بحوث علمية رصينة اتسمت بالجدة والابتكار في الطرح مع عمق في الرؤيا شكلته ثقافته العربية التراثية إضافة إلى معرفته باللغات الأجنبية، وهو ما تجلّى في بحوثه التطبيقية التي قدمها في حقل الدراسات النقدية والمقارنة، فإليه يرجع قصب السبق في إرساء دعائم النقد الأسطوري البرونالي في العالم العربي كله، ولم يكتف الباحث بعرض القضايا الأدبية عرضا سطوحا بل كانت له أراء متميزة خاصة فيما تعلق بنقده الصميمي للمركزية الغربية المتعالية وصورها النمطية عن الشرق، أضف إلى ذلك اطلاعه الكبير على واقع كليات الآداب الجزائرية وبرامجها الدراسية التي وجه لها نقدا لاذعا فيما تعلق بواقع تدريس أدب الطفل في الجامعة الجزائرية والتي لم تستطع مسايرة التطورات العالمية والمعاصرة، كما وقف أيضا حنون عند صورة الآخر الفرنسي في الرواية المغربية كاشفا عن تيمات السلبية والإيجابية.

ولعل من بين التوصيات التي نقدمها، ضرورة الاهتمام بنتائج هؤلاء الباحثين خاصة ما تعلق منها بجهودهم الإجرائية، كما نوصي بضرورة إقامة ملتقيات علمية تدرس

المنجز النقدي عند عبد المجيد بما يتيح تحقق الوصل لا الفصل بين الأجيال السابقة واللاحقة.

6. الهوامش:

- 1- عبد المجيد حنون، النقد الأسطوري والأدب العربي الحديث، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، المجلد 2، العدد 2، الجزائر، ديسمبر، 2000، ص ص 92-93.
- 2- المصدر نفسه، ص ص 93-94.
- 3- المصدر نفسه، ص ص 94-95.
- 4- المصدر نفسه، ص 99.
- 5- ينظر، المصدر نفسه، ص ص 99-100.
- 6- المصدر نفسه، ص 105.
- 7- المصدر نفسه، ص ص 105-106.
- 8- عبد المجيد حنون، أدب الأطفال والأدب المقارن مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، المجلد 5، العدد 2، الجزائر، أكتوبر، 2003، ص 83.
- 9- المصدر نفسه، ص 84.
- 10- المصدر نفسه، ص 86.
- 11- المصدر نفسه، ص 88.
- 12- عبد المجيد حنون، الخطاب النسوي في أسطورة شهرزاد، مجلة التواصل الأدبي، قسم الأدب العربي، مخبر الأدب العام والمقارن، جامعة باجي مختار، عنابة، المجلد 1، العدد 1، جوان 2007، ص 44.
- 13- المصدر نفسه، ص 45.
- 14- المصدر نفسه، ص 47.
- 15- عبد المجيد حنون، الخطاب النسوي في أسطورة شهرزاد، ص 48.
- 16- المصدر نفسه، ص 50.
- 17- المصدر نفسه، ص 143-187.

18- المصدر نفسه، ص 205.

19- المصدر نفسه، ص ن.

20- عبد المجيد حنون صورة الفرنسي والفرنسية في الرواية المغاربية، دار بهاء للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2013، ص95.

21- المصدر نفسه، ص 45.

22- المصدر نفسه، ص 166.

23- المصدر نفسه، ص 167.

24- المصدر نفسه، ص ن.

7. قائمة المراجع:

- عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي والفرنسية في الرواية المغاربية، الجزائر، دار بهاء للنشر والتوزيع، 2013.

-عبد المجيد حنون، النقد الأسطوري والأدب العربي الحديث، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، المجلد 2، العدد 2، 2000.

-عبد المجيد حنون، أدب الأطفال والأدب المقارن، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، المجلد 5، العدد 2، 2003.

-عبد المجيد حنون، الخطاب النسوي في أسطورة شهرزاد، مجلة التواصل الأدبي، مخبر الأدب العام والمقارن، جامعة باجي مختار، المجلد 1، العدد 1، 2007.